

لورنس في الزين



بقلم سليمان موسى

« هل كان لورنس عبقرياً جديراً
بالشهرة العريضة التي ذاعت له؟ أم كان
بارعاً في استغلال الظروف، قادر أعلى
حكيم المؤامرات؟ هل كان رجلاً قديراً
أم كان بهلواناً دجالاً؟ هل كان مخاصماً
للعرب محباً لهم، أم كان يقوم بينهم
بتمثيل دور مسرحي في خدمة أمته
وبلاده وغروره هو؟ »
هذه أسئلة تدور في أذهان كثيرين.
وهذا المقال يحاول أن يجيب عليها .

تمهيد*

ظهر في إنجلترا أوائل هذا العام كتاب بعنوان
« لورانس العرب - تحقيق في سيرة حياته » بقلم
ريتشارد الدنجتون. وقد ثارت حول هذا الكتاب
ضجة كبيرة في صحف لندن بين المعجبين بلورنس
وبين النقاد المحايدون الذين يبحثون عن الحقيقة .
وكتاب الدنجتون هذا هو نتيجة بحوث طويلة
مستفيضة قام بها إذ اتصل بجميع من عرفوا لورنس
في جميع ادوار حياته ، ودرس جميع مؤلفات
لورنس ورسائله التي نشرت والتي لم تنشر، وخاصة
تلك الرسائل التي كان يبعث بها لشارلوت شو
قريئة برنارد شو والتي ضمنها الكثير من اسرار
حياته المطوية ، وحقق الدنجتون ودقق في تاريخ
سيرة هذه الشخصية التي مجدها الرأي العام
الانجليزي . وقرّر رأيه أخيراً على ان لورنس لا
يستحق كل الشهرة التي احيط بها اسمه ، بل ولا
يستحق الا القليل القليل منها .



الكولونيل لورنس

* عنوان المقال مستعار عن بحث كتبه الدكتور شينندر
في المقتطف ١٩٣٢ .

Lawrence of Arabia by Richard Aldington ١
ولد الدنجتون عام ١٨٩٢ في إنجلترا ، وكتب في شبابه
عدة روايات ونشر ديوان شعر ثم اشترك في الحرب العالمية
الاولى واصيب بصدمة عصبية نتيجة لانفجارات القنابل .
وعانى من هذه الصدمة مدة ثماني سنوات حيث كان في حالة
ذهول اشبه بالجنون . ثم شفى وعاد نشاطه الادبي .

و كنت قد طالعت كتاب لورنس « اعمدة الحكمة السبعة » منذ عدة سنين ، واستلقت نظري يومئذ تلك العبارات التي كتبها يوم كان العرب يهاجمون معان ، عندما قصد هو والضابط جويس في رحلة استكشاف بالسيارة دون ان يكون معها احد من العرب . قال : « قضينا تلك الليلة الباردة في العراء وبعد ان تعشينا وشربنا الشاي ، اخذنا نتحدث بالانجليزية ونضحك على طريقتنا الخاصة حول النار . وعندما راودنا النعاس اضطجعنا على الرمال الناعمة . لقد كانت تلك الليلة لي عيداً من الاعياد ، اذ لم يكن احد من العرب قريباً مني فاضطررت ان امثل امامه دوري الشاق . »

ثم طالعت الكتب الثلاثة التي فيها عنه لويل توماس ، وصديقه روبرت جريفز ، والمعلق العسكري الكابتن ليدل هارت . واستلقت نظري ذلك التمجيد البالغ الذي احاطوه به حتى بلغت المغالاة باحدهم انه قال : « لولا لورنس لما كانت هناك ثورة عربية . »

وبحثت في الكتب العربية فلم اجد ما يشفي غليل الباحث ، وكنت شديد الاسف اذ لم اعثر على مذكرات لجعفر العسكري او نوري السعيد او مولود مخلص او غيرهم من الضباط العرب الذين اشتركوا في القتال وعرفوا لورنس معرفة وثيقة ، وكان بمقدورهم ان يزودونا بملاحظاتهم الشخصية وينيروا السبيل امام طلاب الحقيقة التاريخية المجردة .

و كتاب جورج انطونيوس الرائع « اليقظة العربية » يحاول الكشف عن حقيقة خدمات لورنس للعرب ، الحربية والسياسية منها ، ولكنه يعتذر عن امكانية اعطاء قول فصل في هذا الشأن لانعدام الشواهد العربية الوافية ، ولان المعلومات المتوفرة هي من كتابات لورنس واصدقاء لورنس وهي لا تمثل الا جانباً واحداً للموضوع . ويعرض انطونيوس قضية احتلال العرب للعقبة - كمثل على مجهود لورنس - فيقول ان الوقائع التي لا يرقى اليها الشك هي ان فكرة احتلال العقبة طرأت في الحديث الذي دار بين فيصل وعوده ابي تايه شيخ عشيرة الحويطات في اول لقاء لها ، وان عوده ورجاله هم الذين قاموا بالجهد الحربي كله ، ولم يكن لورنس الا مراقباً للاحداث . ولكن لورنس استغل مجهود العرب وقدم تقريراً الى الجنرال النبي قال فيه ان هذا العمل الحربي الباهر قد تم بناء على خطته هو ، وانه قاد القوات العربية بنفسه

واشرف على جميع التفاصيل .

اما الدور الذي لعبه لورنس في المجال السياسي فاكثرت وضوحاً لدى العرب ، اذ من المعروف انه هو الذي عمل على اجتماع فيصل وحايم وايزمن في باريس عام ١٩١٩ ، وانه هو الذي كتب الاتفاقية التي وقعها كلاهما مع ان فيصل لم يكن يعرف الانجليزية . وقد قام بدور الترجمة بين الاثنين مع ان مرافقي فيصل كانوا يجيدون الانجليزية اجادة تامة . ولكنه حال دون حضور احد منهم . ودلل فيصل على بعد نظره بتلك الملاحظة التي كتبها بخط يده بالعربية على صفحة الاتفاقية ذاتها وقال فيها ان هذه الاتفاقية لا تعتبر ملزمة للعرب الا اذا نفذت جميع العهود التي قطعت لهم خلال الحرب . وقد كشف وايزمن في كتابه « التجربة والخطأ » النقاب عن المساعدات القيمة التي قدمها لورنس للقضية الصهيونية .

وفي مذكرات الملك عبد الله نجد انه اول من عرف لورنس على حقيقته ، اذ قال « لقد سلمت العشاير الجنوبية من الكثير مما لحق بعشاير الشمال ، يوم ان اطلقت للورنس الحربة في جيش فيصل فاصبح ، بما بذل من مال ، وما قال من اقوال ، ملك العرب غير المتوج ، وانه صاحب الثورة ، وانه لولاه لما نال العرب اي شيء ... وفي الحق انه كان المزهو بنفسه الغريب الطباع . ولقد دس الي من يغريني بملك الحجاز ، بحجة ان الوالد المرحوم عنود في فكره متمسك برأيه ... وقد خدمني بقوله ان والدك عنود متمسك برأيه ، اذ يظهر انهم يطلبون من لا رأي له من الناس كي يعمل لورنس ما يشاء ... وقد كنت معترفاً بشمين مساعداته غير راض عن تدخلاته فيما لا يعنيه . وعرفت كثيراً من الضباط الانجليز ومنهم الميجر جويس وهو من اخلص الناس للانجليز والقضية العربية ، وقد خدم اكثر من لورنس خدمة حقيقية قاسى فيها انواع الشدائد . »

وهذه اقوال معبرة تحمل المعاني الكثيرة الواضحة ، ولكنها لا تشفي غليل الباحث عن التفاصيل .

كتاب الدنجتون

يكشف المؤلف في مستهل كتابه عن حقيقة هامة كان لها اثر كبير في تصرفات لورنس وولوعه بالشهرة . تلك الحقيقة هي ان لورنس ابن سقاح لم يولد من زوجين شرعيين . فوالده نبيل ايرلندي يدعى شابمان تزوج عام ١٨٧٤ ورزق باربع بنات ، ثم اغرم بساره جونز مربية بناته فقر

معها عام ١٨٨٥ وانتحل اسم لورنس وعاشها معاشرة الأزواج دون ان يستطيع المقدم عليها شرعياً بسبب رفض زوجته تطبيقه . وقد أثمرت علاقته خمسة اولاد كان ثانیهم توماس ادوارد لورنس . ولم يستطع احد منهم تغيير هذا الواقع اذ توفي الوالد عام ١٩١٩ قبل وفاة زوجته الاولى بخمسة اعوام . اما الزوجة غير الشرعية فهي لاتزال تعيش حتى الان وهي في الرابعة والتسعين من العمر .

وقد كشف لورنس عن هذه الحقيقة المروعة في رسائله لشارلوت شو وهي الان في المتحف البريطاني بلندن . وفي احدي رسائله تلك قال ان امه كان يملكها شعور جارف بالاثم والخطيئة لان اياه غادر زوجته الشرعية ليعيش معها ، وانها كانت تموض عن شعورها هذا بمحاولتها ان تنشيء ابناها نشأة دينية صارمة ، وقد أثمرت محاولتها فصار احدهم قسيساً وذهب الى خارج انكلترا في ارسالية لتبشير .

واخذ الصبي ينمو ، ثم اخذ يدرس في احدي جامعات اكسفورد ، وكان مجداً محباً للاطلاع ، ولكن روبرت جريفز كتب عنه في هذه الفترة يقول : « لا شك في ان معلومات لورنس واسمة جداً . ففي خلال ست سنوات قرأ جميع الكتب الموجودة في مكتبة اتحاد اكسفورد - حوالي ٥٠٠ الف مجلد - وكان يستعيرها بمعدل ستة مجلدات كل يوم . وكثيراً ما قطي ثمانى عشرة ساعة في القراءة »

ويقول الدنجتون اننا لو افترضنا جدلاً انه قرأ ستة مجلدات كل يوم لمدة ست سنوات فلن يزيد المجموع عن ١٣ الف مجلد . فاذا اردنا ان نأخذ معدلاً للخمسين الف مجلد لا كنهشنا انها تشكل ٢٥ مجلداً يومياً . فهل هذا ممكن ؟ وكيف كان يواصل دراسته في الجامعة ؟

وقد انحنى بعض النقاد على جريفز لمغالاته . ولكن يمكن ان نعدل في توزيع الملام اذا قرأنا اعتراف جريفز بأن « لورنس قرأ ووافق على كل كلمة من الكتاب . هذا مع العلم انه طلب مني ان اضع عبارة في مقدمة الكتاب تشير الى انه لم يطلع عليه . »

وقد تحدث العجبون به كثيراً عن عبقريته وذكائه خلال فترة دراسته ، وقالوا انه كان يجتاز جميع دروسه بنجاح وتفوق ، ولا يمكن نكران مواهب لورنس ، وانما استطاع القول انه لم ينجح في فرع الرياضيات فاضطر للتحويل الى دراسة التاريخ .

واصيب في اوائل شبابه بصدمة عصبية عندما اكتشف « حالة الخطيئة » التي تعيش امه في ظلها مع ابيه . وكان لهذه الصدمة النفسية اثر عميق في جميع تصرفاته المقبلة . فقد قال في احدي رسائله لشارلوت شو ان شخصين كآبيه وامه ما كان يحسن بها ان ينجبا اطفالاً قط . وقد غادر المدرسة وخدم في سلاح المدفعية مدة ستة اشهر احتجاجاً و غضباً . ولم يعد الى المنزل الا بعد ان بنى له ابوه غرفتين خاصتين به في حديقته الدار ليعيش فيها .

ودفته دراسته التاريخية الى القيام بخمس رحلات على الدراجة في فرنسا . ولكنه سمح لجريفز ان يجلدها في كتابه ثمانى رحلات ، وان يقول ان سياحاته لم تكلفه شيئاً ، والواقع يدحض ذلك . على ان مؤلفاً آخر ذكر انه كان يعيش على نصف فرنك فقط في اليوم الواحد . وفي ١٩٠٩ قام برحلته الاولى الى سوريا لتفريج على قلاع الصليبيين ودراسة الفن المعماري فيها .

وقد اشاد الذين كتبوا عن لورنس بالصعاب الكثيرة التي لاقته في سوريا وصوروه بصورة البطل الذي يقنم الاهوال ويستهن بالمخاطر . وفي هذا

كثير من المبالغة اذ من الثابت ان اياه اعطاه مبلغاً من المال قبل انه لم يقل عن مثني جنيه ، ولو كان المبلغ زهيداً ما اشترى مسدساً وآلة تصوير دفع ثمنها اربعين جنياً . وفي احد اسفاره استأجر عربة بمبلغ سبعة جنيهات كما ذكر في احدي رسائله ، وهذا يدحض القول انه لم يكن يملك مالاً . اما من جهة معرفته بالعربية فلا شك انه كان يعرف اكثر من اللاتين كلمة بربيه التي قال انه بدأ اسفاره بها وذلك عن طريق القس العربي عوده الذي اتصل به في بريطانيا ولا شك كذلك في مبالغته عندما ادعى فيما بعد ان محصوله من العربية بلغ اثني عشر الف كلمة .

واعترف في رسائله انه زار ستاً وثلاثين قلعة من قلاع الصليبيين . وقد زاد لدل هارت عددها الى خمسين . وعند عودته الى انكلترا قدم رسالة حول الفن المعماري في القرون الوسطى ونال على رسالته تلك براءة في التاريخ الحديث بدرجة الشرف .

وعاد لورنس الى بلاد العرب عام ١٩١١ ليعمل في حفريات كركميش مع بعثة الدكتور هوغارث ، ولا بد من التمرس لعلاقته بالشيخ احمد او داحوم الذي تعرف عليه هناك . وكان داحوم هذا فتى جميلاً واصغر من لورنس سنّاً ، وكانا يسافران معاً ، ويعيشان معاً . وقال ان داحوم هذا هو الذي اهدى اليه لورنس كتابه « اعمدة الحكمة السبعة » (Sheikh Ahmed - To s.a.) ولكن الدنجتون لم يتمرض لما ذكره

اخرين ، بان الاهداء كان باسم ساره ابرامسون وهي الجاسوسة اليهودية الحسنة التي لعبت دوراً هاماً في حركات التجسس خلال الحرب . وقيل انها كانت على اتصال مع لورنس عندها كان في مصر ١٩١٥ - ١٩١٦ . وذكر لورنس في رسالة كتبها لجريفز بعد الحرب ان S.A. هي فتاة احبها وايد هذا الدكتور ركس الذي عرف لورنس في القاهرة واكد انه كان على معرفة بساره وغرام لورنس بها . وقال انه ساهم في الثورة العربية لاجلها كمي ينتقم من الاتراك الذين اكتشفوا امرها في فلسطين . فاطلقت المسدس على نفسها وماتت . والذي يقرأ عبارات الاهداء يجد فيها من حرارة المواطن ما يؤيد هذا القول .

وخلال اعمال الحفريات في كركميش حدث خلاف بين المهندسين الالمان - الذين كانوا يعملون في تمديد سكة حديد بغداد - وبين العمال الاكراد الذين كانوا يشتغلون معهم ، وادى هذا الخلاف الى مقتل احد الاكراد . وكاد يستطير الشر لولا ان تدخل وولي المسؤول عن حفريات كركميش ومساعد لورنس والعمال الذين معها وعملوا على اصلاح ذات البين . واغتنم لورنس هذا الحادث فتباهى فيما بعد قائلاً ان الحكومة التركية عرضت عليه وساماً مكافأة له على انقاذه للمهندسين بينما لم يذكر زميله وولي شيئاً من هذا القبيل .

ومن امثلة مبالغته في التحدث عن نفسه قوله انه استطاع مرة ان يهزم ثلاثة من الجنود الاتراك وان يأخذ منهم سلاحهم ويسوقهم امامه الى ديوان الحاكم التركي . وما ذكره احد المعجبين به - نقلاً عنه طبعاً - انه كان في تلك الانحاء بمثابة سفير انجليزي لا يستطيع الحكام الاتراك مخالفة رغباته . وقد ذكر توماس وجريفز ان لورنس زار مصر وقابل كشنر وبين له خطورة استيلاء اية دولة اوروبية على خليج الاسكندرون بالنسبة لمواصلات بريطانيا . ويشك كثيراً في ان لورنس قابل كشنر اطلاقاً ، ولكن لورنس ادعى ذلك بعد وفاة كشنر . اما لدل هارت فقال ان بغضه للاتراك حبه للاكراد والارمن والعرب ، وانه اختلط بمجتمعاتهم السرية ، واشترك معهم في تدبير الخطط الثورية . وهي اقوال من نسج الخيال .

الحرب العالمية

عندما أعلنت الحرب سعى لورنس بوساطة صديقه الدكتور هوغارت للحصول على عمل ما ، فنجح رتبة ملازم ثان وأخذ يعمل في قسم الجغرافيا بوزارة الحربية . وكان لورانس في حياته محظوظاً تواتبه الظروف بالفرص النادرة التي لا تتاح الا لقليل من الناس . ولولا دخول تركيا في الحرب لكان من المحتم ان يمضي الى ميدان القتال في فرنسا . وربما لاقى هناك حتفه كاخويه الاصفرين وكثبات الالاف من الجنود . ولكن دخول تركيا في الحرب وحاجة الجيش الانكليزي في مصر الى ضباط استخبارات دفعا بلورنس الى الشرق مرة اخرى . وابتداه هذا منح رتبة رئيس (كابتن) بعد سبعة اسابيع من تسجيله في الجيش ، بينما لم يكن يحصل احد على هذه الرتبة الا بعد قضاء عدة سنوات في ميدان القتال .

واقام لورنس في القاهرة يعمل في قسم الخرائط والاستخبارات، وادعى فيما بعد انه اسدى يداً في احتلال الروس لارضروم عام ١٩١٦ اذ قال انه كان وسيطاً بين الامير نيقولا وبين بعض الضباط العرب في ارضروم، وان نجاحه في هذه المهمة دعا القيادة الانكليزية لتكليفه مرة ثانية للقيام بدور مماثل في العراق لانقاذ الجيش الانكليزي المحاصر في كوت الهامرة . ومن الثابت تاريخياً ان سقوط ارضروم لم يكن عملاً من اعمال الجاسوسية اذ ان الجيش الروسي احتلها لنفوقه على القوى التركية المدافعة عنها .

ومن اسخف الادعاءات القول بان لورنس هو الذي « رسم خطوط الثورة العربية » اذ انه لم يضع قدماً في الجزيرة العربية الا بعد اعلان الثورة ببضعة اشهر . وقد ذهب لاول مرة خلال اجازة له بعد ان طاب الى صديقه ستورس ان يصطحبه معه لتمضية الوقت . وعندما طلب الى رؤسائه ان يمشوا به للعمل مع العرب في الجزيرة وسمحوا له بذلك قال مباحياً انه ضابط الاركان الوحيد الذي يصعب الاستغناء عنه في قيادة الجيش الانكليزي بمصر .

وقد يفسر لنا نجاح لورنس في بلاد العرب ما قاله الميجر يونغ احد الضباط الذين عملوا معه في الثورة : « ان لورنس كان يملك الصفات التي تتوفر عادة في السياسي الناجح ، واولها ان لا يتردد المرء في اعتناق الفكرة الداعية الى ان الغاية تبرر الوساطة » .

ويغفر لورنس كثيراً بأنه هو الذي اقترح على العرب احتلال الوجه والعقبة وبذلك حال بين الاتراك وبين امكانية الزحف من المدينة الى مكة . ولكن ما ذكره المؤرخون الآخرون يكذب ادعاءه فالذين قاموا بالثورة العربية لم يقصدوا ابداً حصرها في الحجاز ، بل كان مهمهم الاول ان يمدد لثورة الى بقية الاقطار وخاصة سوريا .

وبالرغم من ادعاءات لورنس المتكررة ، فانه اعترف في كتابه « اعمدة الحكمة السبعة » انه لم يلامس سكة الحديد لاول مرة الا في اواخر ايار ١٩١٧ ، اي بعد عشرة اشهر من اعلان الثورة . هذا بينما كان لويس توماس يدعي ان لورنس ، ولورنس وحده ، كان يعمل في تخريب السكة ، وان الضباط الآخرين كانوا يلازمون قواعدهم . وعندما احتج الميجر يونغ على هذه الاقوال وعده لورنس ان يصحح اقوال توماس ولكنه لم يفعل .

وعندما مضى الشريف ناصر ومعه عوده ابو تايه ونسيب البكري لاحتلال العقبة ، طلب لورنس ان يرافقهم ، فاجابه فيصل الى طلبه . وقبيل احتلالهم للعقبة اصطدموا بقوة تركية وهاجها رجال عوده ، وحاول

لورنس الاشتراك في القتال وكان على ظهر ناقه فاخذ يطلق النار من مسدسه ، ولكن الطلقة الاولى اصابت رأس الناقة فسقطت واصيب هو ببعض الرضوض واعغمي عليه ، ولم يفق الا بعد ان انتهت المعركة بهزيمة الاتراك .

ثم احتلت القوة العربية العقبة في اوائل تموز ١٩١٧ ، فرأى لورنس في هذا فرصة نادرة ، وغادر العقبة مع جماعة من البدو بطريق الصحراء الى قناة السويس حيث قابل الجنرال النبي وبشره باحتلال العقبة مدعياً بأنه هو الذي رسم خطط هذه الحملة وهو الذي قادها ، وتدرج عن هذا ان منح رتبة ميجر مع وسام فيكتوريا ووسام رفيع آخر ، ومنحته الحكومة الفرنسية وساماً ثلثاً ، وهكذا استغل لورنس دماء العرب وجهودهم كي يظهر على مسرح الاحداث ، وادعى الفضل لنفسه بينما لم يكن في الواقع سوى مراقب عادي ، اما الفضل الحقيقي فلم يكن الا للشريف ناصر ولعوده ابي تايه ورجاله من عشيرة الحويطات .

ويتعرض جورج انطونيو لادعاءات لورنس في هذا المجال فيقول ان عوده هو الذي اقترح على فيصل احتلال العقبة وان فيصل وافق على ذلك ، وان لورنس قد رافق الحملة كي يستطلع اخبار داخلية سوريا ويتصل ببعض زعمائها . ويقول الجنرال بريون في كتابه « الحجاز في الحرب العالمية » ان ادعاءات لورنس هذه كانت تثير حفيظة الضباط العرب وانهم كانوا يقولون دائماً « اتنا اذا فشلنا في المارك انحر باللافة علينا واذا انتصرنا كوفي الضباط الانجليز » .

وقد بلغت وقاحة لورنس ذروتها عندما طلب خلال رحلته الى قناة السويس من الجنرال كلايتون ، ان يعطى رسمياً قيادة البعثة البريطانية في بلاد العرب . وقد رفض كلايتون طلبه لانه كان ادنى رتبة من بعض الضباط الاخرين . على ان مركزه تحسن كثيراً اذ صار الاتفاق على ان يتفصل جيش فيصل عن القوى العربية العاملة في الجزيرة ويعتبر جناحاً امين لجيش النبي ، ويصير لورنس مستشاراً سياسياً له ، وتزداد المعونة المقدمة لهذا الجيش زيادة لا بأس بها . وعاد الى العقبة يحمل بشرى زيادة الاموال والمعدات ، فلا نستغرب اذا ازدادت اهميته في عين فيصل ورجال فيصل ، ولا نعجب اذا رايناهم يتقون بمقدرته واهميته لدى القائد العام ، ويمر كزه العظيم لدى حكومته خاصة بعد ان ايقنا ان لورنس لم يكن يتقيد كثيراً بالحقائق في اقواله وهكذا اجاد تمثيل دوره واستغل دماء العرب وادعى عند العرب انه يمثل بريطانيا ، كما ادعى عند الانجليز انه صاحب الكلمة الاولى عند فيصل والعرب .

وقد وصف لورنس نفسه في كتابه بأنه صار « جنرالاً » للقوات الحاربة ، ويمدد الدبختون الايام التي تتيب فيها عن ميدان القتال فيجد انها تساوي ثلث التسعة الاشهر الاخيرة التي قضاها في الشرق ، ويقول متسانلاً اي نوع من الغادة هذا الجنرال الذي يتقرب عن جيشه ثلاثة اشهر من جلة تسعة اشهر ؟

وفي معركة الطفيلة التي هزمت فيها القوة التركية وقتل قائدها حامد فخري ، قدم لورنس تقريراً قال فيه انه ادار العمليات الحربية التي ادت الى هذا النصر ، ونتج عن ذلك انه منح وسام الخدمة الممتازة (D.S.O) ولا يمنح هذا الوسام الا لمن يبدون بطولة خارقة خلال المارك .

ومن امثلة ادعاءات لورنس قوله ان الاتراك اعلنوا انهم يدفعون جائزة تتراوح بين خمسة الاف وخمسين الف جنيه ذهبي لكل من يلقى القبض عليه . والغريب ان لا مجال باشا ولا ايمان فون ساندرس ذكرا

هذه المكافأة في كتابها عن الحرب . بل ولم يذكر اسم لورنس بتاتاً فلو كان بالاهمية التي يصورها نفسه، فلم لم يتحدثوا عن بطولاته واعماله ؟
وازداد نفوذ لورنس عند الطرفين الانجليز والعرب ورتقى الى رتبة كولونيل ، واعطي حساباً خاصاً في حدود ٣٠٠ الف جنيه ، فانشأ حرساً خاصاً به ، واخذ ينثر الذهب ميمناً وشمالاً حتى اخذت البادية تلهج باسمه . واهداه الشريف خنجراً ذهبياً قيم ان ١٥٠ ليرة عثمانية استعملت في سبكه . وقال بعض المعجبين بلورنس ان هذا الخنجر كان يعني ان الملك حسين قد اعطى لورنس رتبة شريف وهذا امر غير معقول لان لقب شريف لا يمكن ان يمنح الا لمن هم من سلالة النبي محمد . والعجيب ان لورنس ادعى انه قصد الى مكة خصيصاً لاجل صنع هذا الخنجر ، وقد ذكر هذا في رسائله الخاصة التي كانت احداها للجنرال وايفل . وقال انه كتم خبر هذه الرحلة خوفاً من غضب الحسين الذي سمح له بهذه الزيارة بصورة مكتومة . وهو امر لا يمكن ان يصدق .

وبالرغم من ان لورنس لم يستعمل الطائرة الا قليلاً فقد اكد للدل هارت انه قضى اكثر من الف ساعة في الجو وان الطائرة سقطت به سبع مرات ، بينما المعروف ان الطائرة لم تسقط به سوى مرة واحدة في ايطاليا بعد انتهاء الحرب .

ويتناول المؤلف محاولة لورنس في الظهور بمظهر الشهيد الذي ضحت به حكومته في سبيل غاياتها ، عندما رفض قبول الاوسمة محتجاً بأنه اعطى امراً خلال الحرب ان يمد العرب بوعود الحرية والاستقلال ثم تبين بعد فوات الاوان ان حكومته لم تكن جادة في وعدها . ويستشهد المؤلف بفقرات من تقارير لورنس السرية وفيها اقتراحاته الشخصية بان يعضد الانكليز حلفاءهم العرب كي تكون طرق المواصلات ومراكز التجارة في هذا الجزء من العالم تحت نفوذ بريطانيا . ويقول المؤلف ان رفض لورنس للاوسمة لم يكن الا عملاً مسرحياً آخر من اعماله المسبالة لكسب عطف الجمهور ولاحاطة اسمه بهالة الاجساد الزائفة ، وانه لا يوجد هناك اي دليل على ان شخصاً مسؤولاً طلب من لورنس ان يعطي للعرب اي وعود ، وانه اذا اعطى وعوداً فلا تفسير لذلك الا انه كان يحاول الظهور بمظهر الناطق باسم حكومته بينما لم يكن في الواقع كذلك .

ولا شك في ان غرام لورنس بالمظاهر التمثيلية قد اساء للعرب ، فان مرافقته ليفصل عند مجيئه لفرنسا ، واصراره على ارتداء الملابس العربية قد جعلنا الفرنسيين يمتقدون ان له نفوذاً كبيراً عند فيصل ، وانه يرمي الى تسويد مصالح بريطانيا ، وكان ذلك من جملة الاسباب التي جعلتهم ينتكرون ليفصل ويفقون منه ذلك الموقف المشدد . وعندما اصر لورنس على مرافقة فيصل بالملابس العربية اضطر الافرنسيون لابلغاه انهم لا يرغبون في وجوده بهذا الشكل التنكري ، فغادر فرنسا بعد ان اعاد الوسام الفرنسي علامة احتجاج واستزادة منه للدعاية لنفسه .

وقد قال احد اصدقاء لورنس ان فيصل في مؤتمر الصلح لم يلق خطاباً بل قام بتلاوة آيات من القرآن . وان لورنس هو الذي لقي الخطاب الرسمي بالانجليزية ، كما ان لورنس ذاته قال لجريفيز انه هو الذي لقي خطابات الوفد العربي باللغات الانجليزية والفرنسية والعربية ايضاً . وفي هذا برهان واضح على الخيال الواسع الذي كان يتمتع به ، لبعده عن الحقيقة .

اما بشأن رفض لورنس للاوسمة وما رواه من انه قال للملك فيصل ان دوره في الثورة العربية لم يكن مشرفاً له ولحكومته وبلاده ، فان

المؤلف يقول ان اعادة الاوسمة لم تكن صحيحة ، لان البراءة التي صدرت عام ١٩٢١ بايقاده للمفاوضة مع الملك حسين ، ذكرت جميع القسابة والاوسمة التي يحملها ، وكان ذلك بعد ادعائه برفض الاوسمة بعامين .

ومن المعلوم ان لورنس لم يكن معروفًا لدى الرأي العام حتى اواخر ١٩١٩ ، ولم يظهر اسمه في سجل الاعلام الذي صدر عام ١٩٢٠ . وقد قام على اذاعة شهرته صحفي امريكي يدعى لويل توماس اذ اوفدته حكومته لزيارة ميادين القتال بحثاً عن الاحداث الطريفة التي تبين مجهود الانكليز الحربي . وتقابل توماس مع لورنس في القدس عام ١٩١٧ . وسجعه هذا باخبار مخاطراته ومغامراته فاستأذن التي لزيارة جبهة العرب . ولم يسمح له التي الا بعد ان توسط لورنس وحصل له على الاذن المطلوب .

وعندما اخذ توماس يلقي محاضراته في اميركالم يجد من الجمهور اقبالا لسباع احاديثه عن فظائع الحرب في اوربا ، وبدلاً من ذلك كان الجمهور يطالب بالمزيد من الحديث عن جيش النبي وجيش العرب ، لما في التحديث عن ذلك من صور المغامرات الرائعة وهجمات الحيلة العرب والهجانة بالاضافة الى صور الاماكن المقدسة والنساء المحجبات والجمال . ولقي توماس نجاحاً عظيماً ، ثم انتقل الى لندن وأخذ يكرر القاء محاضراته عن هذا الميدان من الذاكرة ويفنذي خيال الجمهور بالمزيد من احاديث المغامرات لمدة ستة اشهر .

وبعد هذه الدعاية الناجحة كتب كتابه المعروف « مع لورنس في بلاد العرب » يبيع من طبعته الانكليزية مئتا الف نسخة . وكافت المحاضرة والكتاب دعامة للشهرة التي ذاعت للورنس . ومن المؤكد ان معظم معلوماته مستمدة من لورنس نفسه .

ويقول الدنجتون ان الحكومة البريطانية كانت مهتمة كل الاهتمام بدوافع سياسية لاجل محاضرات توماس حتى تتمكن من الحصول على تأييد الرأي العام ، وللحيلولة دون اثاره ضجة بشأن الاموال الطائلة التي صرفت في الشرق الاوسط ، وقد طلب لويد جورج نفسه الى توماس ان يؤلف كتاباً عن الحملة العربية ، ووجد توماس مجالاً واسماً لخياله فقرر لورنس بالالوصاف الرائعة ، وقال انه « امير مكة ، خريج اكسفورد . الشاب الحجول ، الشاعر العلامة ، خبير الآثار اللامع ، صانع الملوك ، قائد الجيش وبطل العالم في تحطيم القطارات . »

وهكذا صنعت دعابة توماس من لورنس بطلاً كابطال الاساطير ، وذاعت له شهرة لم يمد بالامكان وقف مجراها .

ومع انه تعاون مع لويل توماس في اعداد المحاضرة واعداد الكتاب الا انه دفع المؤلف لنفي ذلك ، وكان يتظاهر امام الناس بأنه لا يعرف توماس معرفة وثيقة . اما من ناحية رفضه للاوسمة ، فهو كان حريصاً كل الحرص على استجلاب كل ما يمكن من الاوسمة ، ولم يرفضها الا بعد ان ايقن ان رفضها يكسبه دعابة اكثر من قبولها .

وعندما ابدي توماس تشككه في صحة بعض الروايات ، قال للورنس : « ان التاريخ الذي نعرفه لا يمكن ان يكون صحيحاً كاه ، فلماذا تشغل بالك بهذه الفكرة ؟ »

وقد اكد الناشر الذي كان يصدر فهرس الاعلام Who's Who ، ان لورنس كان يزوره كل عام او يكتب له ، كي يمدل المعلومات التي تظهر على جانب اسمه ، وفي عام ١٩٢١ ظهر اسمه كاي . توماس ادوارد لورنس ،

كولونيل C. B. 1917 . DSO 1918 ، امير مكة ، عالم آثار ،
استاذ في العربية ، رفيق للابحاث في اكسفورد 1919 ، نظم قوات ملك
الحجاز ضد الاتراك 1917 ، حامل وسام جوقة الشرف ، اركان حرب
للأمير فيصل الخ ...

وذاعت عن لورنس اقايص غريبة ، فقد روى جريفيز في كتابه ان
لورنس اجتمع مرة باللورد كرزون وزير الخارجية ، وتوجه باللامه الى
الوزير فانفجر هذا باكياً واخذت الدموع تنهل من عينيه .

وجاء في رسالة من لورنس الى ليدل هارت انه هو بنفسه رتب
الحلول التي توصل اليها مؤتمر القاهرة 1922 قبل قدمه مع تشرشل
وان المؤتمر الذي دعي اليه كل اولئك الساسة الكبار لم يكن الا مهزلة
لتنطية الموضوع . اما بشأن اصدار النسخة الاولى من « اعمدة الحكمة »
ورفض ارسال نسخ منه للصحف ، فقد كان اسلوباً فريداً في الدعاية حتى
ان برنارد شو قال انه كان يحسن به ان يتبع طريقة لورنس في الدعايه
لؤلغاته . وقد جاء في كتاب جريفيز ان احد الناشرين الفرنسيين طلب
من لورنس ان يسمح له بترجمة كتاب سوف يخصص لضحايا المظالم الفرنسية
في سوريا . ويملق جريفيز على هذه القصة مباحياً ان الكتاب ان ينشر
بالفرنسية في حياة لورنس . والواقع يكذب ذلك اذ ان هذا الكتاب
ترجم فعلا الى الفرنسية ، وقد دفعت ترجمته الجنرال بريون عند اطلاعه
عليها ان يؤلف كتابه للرد على لورنس ، وظهر كتاب بريون عام 1931
وادعى لورنس ان ريع الطبعة الانجليزية خصص للجمعيات الخيرية في سلاح
الطيران البريطاني (لا لضحايا المظالم الفرنسية) ولكن المؤلف لا يجد ما
يؤيد هذا الادعاء .

بعد الحرب

يستعرب الكثيرون كيف ان لورنس طلق الفرص الكثيرة التي
كانت متتبعها له شهرته ، واختار ان ينخرط في سلك الجندية كفراد
عادي . لقد قال ونستون تشرشل انه عرض عليه ، يوم كان وزيراً
للمستعمرات ، ان يعينه في احد المناصب الهامة ولكنه اعتذر عن ذلك ،
ويفسر الدنجتون تصرفه هذا بشعوره المرير بمخطبة امه والى انه ابن سفاح
وان هذا السبب الذي دفعه الى تغيير اسمه الى روس ثم الى شو . ويقول
الدنجتون انه كان يكره امه كراهية عظيمة وانه لم ينخرط في سلك
الجيش ، الا لكي يحول دون رؤيتها له واختلاطها به .

وهكذا توسط له بعض اصدقائه من ذوي النفوذ فاتاحوا له الانخراط
في قوات الطيران ، وبقي بضعة اشهر في عمله هذا حتى بلغ خبر وجوده
الى احدى الصحف فنشرت الخبر . واضطر المسؤولون في وزارة الطيران
الى تسريجه ، فاعلن لاحد اصدقائه انه عازم على الانتحار قريباً . اما
صديقه فقد كتب لبرنارد شو يحبطه علماً بعزم لورنس فكتب شو الى
رئيس الوزراء ستانلي بلدوين يقول له : انه اذا اضطرت الحكومة
لورنس ان ينتحر فانه - شو - سيخلق من الحادث فضيحة مخيفة تهز ثقة
الشعب بالحكومة خاصة بعد ان جعل كتاب توماس من لورنس بطلاً
شعبياً في انظار الجماهير .

واضطر رئيس الوزراء الى اصدار امره باعادة لورنس الى صفوف
الجيش ، ويقول الدنجتون « ان في هذا برهاناً واضحاً على المبدأ الاساسي
للحكومات البريطانية بان تخضع للتهديد واعمال العنف في المسائل التي لا
تجدي فيها براهين المدالة والمنطق » ويضيف الى هذا قوله : ان هذا
العمل كان من ابرع مؤامرات لورنس اذ استطاع به ان يروّع رئيس

وزارة بريطانية ويضطره للخضوع لتهديد فرد عادي من افراد الجيش
قد يكون جاداً وقد لا يكون .

ونقل لورنس الى كراتشي عام 1927 ثم الى مرغشاه قريباً من حدود
افغانستان ، وخلال اقامته هناك ذاع في الصحف انه يعمل جاسوساً لاثارة
الاضطراب في تلك الانحاء ، فاضطرت الحكومة لاعادته الى بريطانيا .
واتهمه احد نواب حزب العمال بانه جاسوس يعمل على تقوية الاستعمار
البريطاني .

ومع ان برنارد شو قال ان لورنس كان يكره التحدث عن
الدكتاتوريين مثل لينين وستالين وهتلر وموسوليني واتاتورك ، فان لموته
علاقة بالدكتوريين ، اذ كتب اليه احد الاشخاص رسالة يقترح عليه فيها
ان يرتب مقابلة بينه وبين هتلر ، وطلب منه موعداً لتباحث بهذا الشأن ،
ففى لورنس الى مكتب البريد المجاور لمنزله وارسل برقية يضرب فيها موعداً
للقاء صاحب الرسالة ، وفي طريق عودته انحرفت به دراجته وسقط على
الارض ثم مات متأثراً بجراحه يوم 19 ايار 1935 .

لورنس والعرب

ارى ، من وجهة النظر العربية ، ان الدنجتون اخطأ في
امرين : اولاً انه وضع لورنس والعرب في كفة ميزان
واحدة ، وعندما اخذ يحط من قيمة الجهود الذي بذله لورنس
ظن ان ذلك يقتضيه ان يحط ايضاً من قيمة مجهود العرب
الحربي ، ثانياً في انه اخذ بوجهة النظر الفرنسية دون
تمحيص واعتمد كلياً على كتاب الجنرال بريون « الحجاز في
الحرب العالمية » .

وقد غاب عن ذهن الدنجتون ان لورنس كان يلعب على
الحبلين . وقد قال عوني عبد الهادي الذي كان سكرتيراً
لفيصل 1919 « ان لورنس اوهم الانجليز انه ذو مكانة عظيمة
عند العرب فصدقوه ، كما اوهم العرب ان مركزه عند قومه
كبير ليشعروهم باهميته ويكسب ثقتهم » . وفي هذا مفتاح
السر لكل من اراد ان يبحث في حقيقة الدور الذي لعبه
لورنس خلال الثورة العربية ، وفي كل الزيف والدجل الذي
رافق ذلك الدور .

ومن الاوهام السخيفة الظن بان لورنس كان مخلصاً
للعرب وقضيتهم ، او انه كان على فهم وادراك صحيحين
للعوامل التي كانت تتفاعل في تربة الذهنية العربية . لقد كان
اخلاص لورنس للعرب لا يخرج عن نطاق اخلاصه لبلاده .
فاذا ساهم في مجهودهم الحربي فلان ذلك المجهود يخفف عن
كاهل الجيش البريطاني الزاحف من سيناء . واذا طالب ان
تعهد المجترة مطالب العرب الاستقلالية فلانه كان ينتوي ان
يجعل من بريطانيا حارساً ووصياً شرعياً على ذلك الاستقلال .
واذا قاوم محاولات فرنسا في بسط نفوذها فلانه كان يخشى

ونستون (تشرشل) تلك الورطة الشرقية ، وكان ذلك واجباً علي لانني كنت احدا سباب تلك الورطة . وما أفضل ماتم في الشرق الاوسط . لقد ربح من تلك الحرب اكثر من اي جزء آخر من اجزاء العالم »

اما بشأن علاقته مع اليهود واشتراكه معهم في المؤامرة على عروبة فلسطين ، فيكفي للتدليل عليها القول انه ظهر في احدى الصحف الانجليزية مقال جاء فيه ان لورنس قال لوايزمن في عام ١٩٢٢ ان الرسائل الدينية الاجنبية في فلسطين تساهم في تنظيم الدعاية ضد اليهود . وكتب المطران الانجليزي في القدس يطلب من لورنس ان ينفي ما جاء في ذلك المقال . فرد لورانس على المطران برسالة وقحة جاء فيها « ان الدكتور وايزمن رجل عظيم لا استحق انا ان امسح حذاءه وكذلك لا تستحق انت يا عزيزي المطران »

وقد اشترك المؤلف مع لورنس في مجانبه الحقيقة ، اذ سخر من قول فيصل في مؤتمر الصلح ان العرب خسروا عشرين الف قتيل خلال الحرب ، وانهم عطلوا واسروا اربعين الف مقاتل تركي . وقال ان القوة النظامية في الجيش العربي لم تزد على ستمئة مقاتل . ويؤيد الدنجتون ادعاءات لورنس التي ابداهها في الفصول الاخيرة من « اعمدة الحكمة » اذ ادعى انه ادار شؤون الدولة في دمشق خلال ثلاثة ايام في الفترة بين انسحاب الاتراك و قدوم فيصل ، كما يقول انه هو الذي عين شكري الايوبي رئيساً لحكومة دمشق ثم ارسله الى بيروت . وقد استوضحت من دولة الاستاذ فارس الحوري عن هذا الامر فنفي جازماً ان يكون لورنس قد تدخل في شأن من شؤون الادارة ، وقال انه وسبعة زعماء آخرين تسلموا زمام السلطة بعد انسحاب الاتراك وانتخبوا شكري الايوبي رئيساً للادارة في دمشق ثم قدم رضا الركابي عليهم فتسلم الرئاسة وعينوا الايوبي حاكماً عسكرياً على بيروت .

وترى المؤلف يدافع عن معاهدة سايكس بيكو دفاعاً حاراً و حجته في ذلك ان الانجليز والفرنسيين بذلوا دماءهم واموالهم في الحرب وانهم اولى بشعرات النصر من العرب الذين لم يفعلوا شيئاً مذكوراً في رايه ، وهو يوجه اشد اللوم لحكومته لانها حاولت في بداية الامر ان تعضد العرب وتشجعهم على اخراج الفرنسيين من البلاد التي كسبوا بحقهم المشروع !! لا رغبة صادقة منها في استقلال العرب بل لفرض نفوذها وحدها على هذه المنطقة .

ان يحول ذلك النفوذ دون تحقيق المصالح البريطانية . وفي مؤلفات لورنس ورسائله اقوال كثيرة واضحة تؤيد وجهة النظر هذه دون مواربة ، ففي مقدمة « اعمدة الحكمة السبعة » يقول مباحياً : « لقد قصدت ان اصنع امة جديدة وان اعيد للعالم نفوذاً ضائعاً ، وان اعطي عشرين مليوناً من الساميين قاعدة يبنون عليها قلاع افكارهم القومية » وجاء في رسالة منه الى ليدل هارت قوله « انني كنت ارفض دائماً التحدث عن حلم الوحدة العربية . فالمصاعب المادية تجعل هذه الوحدة مستحيلة . لقد كنت دائماً واقعياً اغتم الفرص في خططي ، والوحدة العربية فكرة جنونية . ولم احلم حتى بإمكانية اتحاد الحجاز مع سوريا . وكان رأيي دائماً تاليف عدة دويلات صغيرة » .

وفي رسالة منه لبرنارد شو (١٧ - ٨ - ١٩٢٢) قال : « بعد ان حل السلام ، اكتشفت انني كنت الشخص الوحيد الذي يعرف حقيقة ما حدث في بلاد العرب خلال الحرب ؛ واذ كنت كذلك الشخص الوحيد في الجيش العربي فقد صار من الواجب المهني علي ان اسجل تاريخ تلك الاحداث . »

اما بشأن العرب و اخلاصه للعرب وتفهمه لفضيتهم ، فيكفي ان نأخذ بعض الامثلة للتدليل على حقيقة لورنس . ففي مقدمة « اعمدة الحكمة » قال : « ان اكثر ما يبعث افتخاري في الثلاثين معركة التي اشركت فيها - هو ان الدم الانجليزي لم يهرق . ان جميع ممتلكات الامبراطورية لم تكن بالنسبة لي تساوي مقتل فتى انجليزي واحد . »

واين ادعاءات لورنس من حبه للعرب بينما رماهم في كتاباته بكثير من النقائص كقوله مثلاً انهم كانوا يعالجون جراحهم بالبول .

وعندما صار الاتفاق في القاهرة عام ١٩٢١ على انشاء حكومتين عربيتين في العراق والاردن ، اعلن لورنس ان بريطانيا وفت بوعودها للعرب . ففي مسودة المقدمة التي كتبها لمختصر اعمدة الحكمة قال « يجب ان اسجل هنا اعتقادي بان الخلتوا خرجت من القضية العربية بيدن نظيفتين » وفي عبارة الاهداء التي كتبها على نسخة « اعمدة الحكمة السبعة » التي قدمها لتشرشل قال « الى ونستون تشرشل الذي وضع نهاية سعيدة لهذه المسرحية » ودعاها ايضاً : « تسوية امينة » وفي رسالة منه الى روبرت جريفز (٤ - ٢ - ١٩٣٥) قال « لقد انضممت الى سلاح الطيران بعد ان قومت مع

ويتحدث المؤلف عن المصالح التاريخية لفرنسا في سوريا حديثاً ملؤه الروح الاستعمارية ، ويدعي ان سكان هذه المنطقة لا يؤلفون امة بالمعنى الصحيح لتعدد الاجناس واللغات . ويقول ان لورنس واصدقائه تجاهلوا عاملاً هاماً كان سيؤدي الى استقرار الحال في الشرق الا وهو التفاهم الوطيد بين فرنسا وبريطانيا . ثم تراه يهاجم لجنة الاستفتاء الاميركينة ويقول انها جعلت همها إيجاد الاسباب للجيولة دون انتداب فرنسا على سوريا . واتهمها بالتحيز والتقصير ، ثم يمضي في دفاعه عن استيلاء فرنسا على سوريا وعن حكمها بعد ذلك حتى يخرج عن موضوع الكتاب فينتغى بالنعم الموهومة التي حلت على سوريا خلال فترة الانتداب الفرنسي .

الخلاصة

لقد ثار في بريطانيا جدل عنيف حول هذا الكتاب . واشترك في النقاش المعقب العسكري ليدل هارت فقال ان الدنجتون يحاول اثاره اهتمام الناس به عن طريق كليل التهم للآخرين . وشبهه بمخبري الشرطة الذين يتلصصون على ثقب الابواب . وقال ان كتابه يحتوي على كثير من الاكاذيب . وكتبت قرينة المثال كنجستون تكذب ادعاء الدنجتون في ان لورنس هجر الحياة العامة بسبب كرهه لأمه وحنقه على أمها ، وقالت ان انزواءه لم يكن الا تعبيراً عن سخطه على الوهن الجنسي الذي اصابه نتيجة الضرب المبرح في درعا عام ١٩١٧ عندما كان يتجول فيها متنكراً وحاول احد الضباط الاتراك ان يرتكب معه عملاً شنيعاً شائناً . ومن الواضح ان لورنس كان ذكياً بارع الذكاء ، وكان الى ذلك نشيطاً جهم النشاط ، ولكن ذكائه ونشاطه ما كانا يستطيعان تحقيق كل الاجاد والاعمال الباهرة التي ادعى انه حققها . وقد ترجم كتاب الدنجتون الى الفرنسية بعنوان « لورنس الدجال »

لقد بدأت شهرة لورنس على يد توماس الامريكي . ومن الدلائل الواضحة انه كان يلعب على الحبلين ثبوت تعاونه مع توماس وجريفز وهارت في الكذب التي افوها عنه ، ثبوتاً لا يقبل الشك ، وثبوت الحقيقة الاخرى بانه طلب اليهم الاشارة في كتبهم الى انه لم يطلع على تلك الكتب . ففي كتاب توماس نقرأ ما يلي « ان الناشرين والمؤلف يرغبون ان يقرروا ان الكولونيل لورنس لم يكن مصدر ما في هذا الكتاب من معلومات ، وانه غير مسؤول عن محتوياته » . وقد كتب الدنجتون الى توماس يستوضح منه فبعث اليه هذا برسالة عام ١٩٥٠ قال فيها « ان لورنس ساعدني

بوسائل عديدة في المحاضرة التي كررت القاها اكثر من الف مرة ، وبالإضافة الى هذا فقد عمل في اعداد الكتاب مع انه كان شديد الرغبة يومذاك في ان لا يعلم احد بتعاونه معي . » اما كتاب جريفز فقد احتوت مقدمته على العبارات التالية « من سوء الحظ انني لم اتمكن من عرض مخطوط الكتاب على لورنس قبل دفعه الى المطبعة ، ولذا فاني اعتذر له عن اية اخطاء وردت فيه » . ولكن جريفز ذاته اعترف بعد وفاة لورنس ان « لورنس قرأ ووافق على كل كلمة في الكتاب ، ولكنه طلب الي ان اذكر في مقدمتي ان الكتاب لم يعرض عليه »

ولا شك في ان شخصية لورنس تنطوي على شيء من الشذوذ ، وقد ابدى اللبني ووايفل اشتباههما في تدجيل لورنس وتبريجه . اما برنارد شو فقد قال انه ولد ليكون ممثلاً وصانعاً لجميع انواع الاحاييل « ووصفه احسن وصف اذ كان خبيراً بهذا الطراز من الناس فقال « عندما كان في وسط المسرح وجميع الاضواء متجهة اليه ، كنت ترى كل الناس يشيرون اليه ويقولون : انظروا ، انه يكره الشهرة وبعد الصيت » .

ولا شك أيضاً في انه كان يستمرىء الشعور بانه من عنصر سلالي ارقى من بقية العناصر ، فقد قال عن الهندود وهو في كراتشي « ان فيهم دناءة خفية تجعلني حانقاً على كونهم يشبهوننا في هيئة اجسادهم » ، وفي اعمدة الحكمة قال انه « يتأذى لان الزوج يمتلكون اعضاء لاجسامهم تماثل اعضاء اجسامنا »

اما اختياره لاسم شو نهائياً وبشكل قانوني ، فلانه وجد في برنارد شو وقرينته بديلاً عن ابيه وامه ، وكانا يبادلانه هذا الشعور اذ لم يكن لهما اولاد . وقد اعترف لشارلوت شو بادق اسرار حياته ، وكانت هي الشخص الوحيد الذي باح له بحقيقة مولده . كما اسر لها بالعار الذي لحق به في درعا .

وبعد . فهل كان لورنس عبقرياً جديراً بالشهرة العريضة التي ذاعت له ، ام كان بارعاً في استغلال الظروف قادراً على حيك المؤامرات ؟ ... هل كان لورنس رجلاً قديراً ام بهلواناً دجالاً ؟ ... هل كان لورنس مخلصاً للعرب محباً لهم ام كان يقوم بينهم بتمثيل دور مسرحي في خدمة امته وبلاده وغروره هو ؟

هذه اسئلة دارت في اذهان كثيرين . وارجو ان يكون هذا المقال قد وفق في الاجابة عليها .

سليمان موسى

المفروق (الاردن)